نعرض هذا الكتاب كمساهمة منا في نشر جميع المناقشات التي تطرحها قضايا الانسان الراهنة ، دون تبنيها بالضرورة . وموضوع « الجسد » الذي يتناوله هذا الكتاب تناوله ، من قبل ، مفكرو وفنانو وشعراء التمرد على المجتمع الرأسمالي ، بهذا الشكل او ذاك ، بهذه الاصلاحية او تلك الراديكالية ، من رابش ، الدادائيين ، السوريالين ... الى الماركسيين ولكنه مع ذلك بقي مدارا للبحث والنقاش ، وهو يعود اليوم اكثر الحاحا ، على الاقل ، في المجتمع الرأسمالي حيث وصلت درجة اغتراب الانسان عن ذاته حدا لا يطاق . والموضوع عموما ليس مطروقا في العالم العربي ، الا فيما ندر . ولعل عرض هذا الكتاب يساعد القراء العرب على معرفة ما هو جديد . الهدف

كتاب جديد

انقاذ جسد الانسان من مجتمع الذئاب

السياسة والجسد

ظهر مؤخرا في باريس كتاب جديد بعنوان « السياسة والجسد » عن دار « المنشورات الجامعية » تأليف جون ماري بروهم .

وقد اثار هذا الكتاب جدلا واسعا في الدوائر الثقافية . فالمؤلف يرى ان الانسان « ضيع جسده » ، وهو يخوض اليوم معركة استرداد جسده، اي معركة انتصار القيم التي تضع حدا لاستغلال جسد الانسان من قبل الرأسماليين الذين يجعلون منه اداة للكدح وسلعة في سوق البيع والشراء .

يحظى الجسد اليوم باهتمام وعناية زائدين! فلقد غدا الجسد محور الابحاث العلمية ذات الصلة القريبة او البعيدة بالموضوع ، كما صار مدار احاديث الصالونات ولكن ... بغير تحفظ هذه المرة! لقد بات الجسد « النتيجة الحتمية للثقافة المعاصرة » بل « منطلق العلوم الانسانية » .

ان هذه « العودة » للجسد ليست عودة بدون مبرر ولا هي ، بالطبع ، عمل ساذج ، بل هي ، كما يقول بروهم ، كشف « للحدث السياسي المركزي : عودة المكبوت ، انها رد الاعتبار لما كان مهملا منسيا لكنه والحق ، رد اعتبار يعتريه الخوف والارتباك » . ولسنا بحاجة لكثير من التفصيل لكي نتوصل لمعرفة المنطلق الذي يرتكز عليه ذلك العمل الضخم الذي قام به جون ماري بروهم :

اولا : ان الجسد هو قضية سياسية والسياسة عموما ! انما هي كناية عن الجسد او هي الخيال وقد استحال جسدا » .

ثانيا : « ان كل مجتمع ينشىء لنفسه ذاتية جسدية محددة تضبط الصراع الطبقي ، شكلا ومضمونا ، بطريقة او باخرى » .

ان الفرضية التي تتحكم في بحث بروهم هي ، بالضبط ، ما تخفيه الثقافة السائدة برفضها التسليم « بأن الجسد يضرب بجذوره عميقا في المعترك السياسي » ، كما يقول ميشال فوكول في كتابه « راقب وعاقب »

(Surveiller et punir)

او « بأن علاقات السلطة تتحكم تحكما « مباشرا » فهي تستغله وتسمه بميسمها ، تروضه ، تعذبه، ترغمه على العمل ، تلزمه بالطقوس وتفرض عليه خدمتها » . قبل ان يتطرق الى مسألة الجسد في جوهرها السياسي ، يسهب بروهم في وصف « مشهد » الجسد وصفا اخاذا .

سلعة ام لاهوت ؟

هذا المشهد الذي يقدمه المجتمع الحاضر ، فالجسد يشكل قسما من « مخزون السلع » ويتحول الى « لاهوت جديد » تنتظم حوله « طقوس اعلانية وطواف شبيه بالطواف حول الاصنام والاوثان » . ان انتاج نرجسية الجسد بالجملة ، الانتاج المختص بتكوين وانشاء جسد « ايديولوجي » الجسد – المنظر ، الجسد – المظهر ، جسد – تناغم ، جسد – اغراء ، ان هذا الانتاج بالجملة هو ، بالنسبة لبروهم ، « فاضح مرض الحضارة لان هذه الحضارة انما ترتكز على مرض الجسد العضال » . وهكذا يتميز بروهم ، بوضوح ، عن المواقف والمفاهيم الماركسية « الارثوذوكسية » (« المشبعة بالنزعة البيروقراطي») – التي تعيد مسائل

٧ – وظيفة الكبت الجنسي في المجتمع القائم هي انتاج خرفان سياسية ، جزئيات اجتماعية تخضع للسلطة خضوعا اعمى .

٨ – ان المطالبة بحرية تصرف الفرد في جسده ، وممارسة تلك الحرية ، ثغرة واسعة في جدار سلطة الدولة وتدشين فعلي لانتقال السلطة من الدولة الى الافراد انفسهم .

ان هذا التلخيص المبشر لبعض الاطروحات التي وسعها جون ماري بروهم هو ، بالطبع ، استهانة بالدقة النظرية للكتاب .

برغم الخيارات الماركسية الثورية التي ، سيثير

اجهزة السلطة ...
آلات حربية ضد الجسد

السخط ، ولا شك ، عند بعض صياغاتها (« سوف لن تتردد البروليتاريا الثورية وحزبها في استعمال لغة الرشاش للتخلص النهائي ، والى الابد ، من مجتمع الثعالب والذئاب والخنازير هذا، ومن « الجسد الموب ») فانه من الصعب انكار اهمية كتاب « الجسد والسياسة » وليس نتاجا ادبيا هذا الذي يقدمه لنا بروهم ، بل هو سلاح معركة . وهو لن يقدم اي تنازل وذلك هو مصدر قوته .

حسين قبيسي
– باريس

جهاز تكنولوجي للربح !

اما بخصوص « موضوعة » الجسد والسياسة ، فاننا نعترف ، دون الخوض في تفاصيل هذا التحليل الدقيق ، بأنه من الصعب انكار صحة العديد من الآراء الواردة في الكتاب ، حتى لو كان تأكيدها الحاسم ، الذي تدعمه حيوية السجال ، يتقدم احيانا ، بديلا عن صراحة البرهان :

١ – يدل الجسد بالملموس على انتماء الفرد ومصيره الطبقيين . ان البورجوازي هو جسده ذاته، اما البروليتاري فهو فقط يملك جسدا سرعان ما يتحول الى سلعة ، الى اداة للكدح مبقية ، دوما وابدا ، اداة لتأدية هذه الوظيفة .

٢ – ان كل سلطة طبقية تنطوي على نظام جسدي . ان نظام الدولة ، يرتكز على التقنين السياسي للعلاقات بين الاجساد .

٣ – ان حل السلطة البورجوازية يبشر بمقدمه دائما ، انحلال التحاريم التي تكبل الجسد في شعب ما .

٤ – ان اية سلطة هي تكبيل للاجساد (علاقات السيطرة والاغراء) .

٥ – ان اجهزة السلطة في دولة ما هي عبارة عن آلات حربية موجهة جميعها ضد الجسد (انه لامر مثير للدهشة حقا ما لاحظه بروهم : ان اية دراسة او مؤلف في العلوم السياسية لا يأتي ، ولو لمرة واحدة فقط ، على ذكر « الجسد ») .

٦ – يبلغ من تأثير السياسة والقانون الرأسماليين على الجسد انهما يجعلانه جهازا تكنولوجيا « للربح » يحيلانه جسدا خاليا من اي شبق ، يحولانه الى مجرد آلة صماء مخصية .